روح الشهادة

-رواية-

الجزء الاول

روح الشهادة

رواية

بقلم:

هدى غربي

الكتاب: روح الشهادة.

النوع: رواية.

الكاتبة:هدى غربي.

تدقيق وتنقيح: أميرة غربي.

تصميم الغلاف: خودير شيماء.

التنسيق الداخلي: مكتبة كُتوباتي.

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي.

www.kotobati.com

kotobati@gmail.com

إصدار 2021.

جميع الحقوق محفوظة.

الإهداء:

إلى تلك الخمسينية التي تحملت عناء الشقاء من أجلي لتفترش لي سجدا من الراحة ..

إلى أمي الغالية.

إلى الغالي الذي لبى نداءات طلبي بكل فخر و اعتزاز..

إلى أبي العزيز.

إلى أختي الأميرة وأخي الحبيب.

تسندين رأسك على سور هار لتعجلي من دمارك يا جوهرتي!، تبشرك عصافير بلدتنا بصفاء الجو فحياتك ليست مجرد غبارا...تنسج لك السماء صفوا وسعة، تشرح لك صدرك بنور ربانيّ ...هكذا قال صديقي يوما حين أراد أن يضفي جرعة إيجابية على روح ذلك المسكين .

قال له: "سيلوح لك الأمل فتمسك بخيط النجاة مهما تأرجحت بك سفينة الوجع...ذكرتني قصتك يا سيدي بقصة ذلك الفتى، الذي أسند رأسه على أريكة الحزن يندب حظه ويمزق أوراقا بدت كأوراق تقرير المصير. سبحت بذاكرتي إلى مكان تواجد إبن عمي "أدهم"، الذي يقال أنه من أوسم شبان قريتنا، حيث تعلقت به الفتيات حد الصبابة، أيامه أشبه بأيام سيدنا يوسف_عليه السلام_، الذي ملأ جماله عالم مصر كما ملأ جمال أدهم حي سلوان، كان أدهم أقل ما يقال عليه أنه ينسج من الذكاء ثوبا .. حرص على تعلم العلم النافع، وحفظ القرآن منذ نعومة أصابعه، حين جلست برفقته يوما أستنجد حديثه المذهل لغاية في نفسي فسألته قائلا: كيف نميز الحكمة في الإنسان؟، كنت أظن أنه سؤال تعجيزي وأنه لن يستطيع تحريك شفتيه للحديث عن هكذا موضوع لا يستساغ للجميع، لكن عبس أنني أخطأت في التنبأ وقبل أن يجيبني طارت بي مخيلتي أنني سأخرج من ذلك المقهى مسرورا، وسأخبر أهل الحيّ بأن أدهم لم يكن إلا شخصا متعجرف به جِنّة، ولم نكن نحن إلا أولئك البسطاء الذين يظنون في الغموض شيء يثار.

قال لي: "الإنسان الحكيم يا سيد سلمان هو ذاك الشخص الذي يتخذ من الصمت سلاحا قويا لرفع الجهل ومفتيه، وهو ذاك اللبيب الذي يفهم ولايفْهمُ، والذي يملك الإجابة المقنعة لشيء وليس لكل الأشياء نصف إجابة".

بعدما أنهى كلامه تفحصني بنظرة إتسعت فيها كلتا حدقتيه وحرك حاجبيه إلى الأعلى وكأنه فهم غايتي من السؤال، هربت بعيدا عن تلك العينين التي سقطت في عشقهما جلّ بنات سلوان، إستدرت قليلا للوراء أنادي القهواجي لأطلب منه إحضار كوبين آخرين من القهوة ..في هذه اللحظة إعتدل أدهم في جلسته وقال: كثرة القهوة تخلق السذاجة يا ابن العم!، احمررت خجلا من كلامه، أما هو فقد قام من مكانه وبادر بالخروج فسألته: إلى أين ستذهب؟، فرّد: إلى بيت الحكمة!.

..انتهت تلك اللحظات الطريفة بمعلومات غذت عقلي واتخذت إلى قلبي طريقا، ربما فهمت كلامه...ربما!، أحضر القهواجي القهوة فقلت له: لا يا سامي القهوة تولد السذاجة وخرجت من القهوة؛ ذلك المكان العامر بجلّ ما تحمل الفواحش من معان متجها إلى بيت الحكمة!.

وقدْ كاَن متلّهفاً حينَ قالَ:

"حَبيبتِي عيناكِ فاتنَتانِ تعادلُ لمعانَ النجومْ!

وَماكاَنَ يدرِي أنَّ الذِّي خلَق حبيبَتهُ السّمراءَ، خلّقَ أيضًا جمالاً يتوشّحُ القلوبَ إذْ تنْظرْ، ولمْ يصْدقْ قولهُ ذرّةَ خرْدلٍ، وهوَ الذّي رأى منّ الجماَل ما رأى، وَقدْ أرادَ بمغازلتّهاَ السّيرَ معْ تِيارِ الهوّى، وهاَهوَ الآنَ يَفرغُ من لعبتِه النكراءَ، وعن إمساكِ قلبِه من التّدحرُج منْ مكانِه لمغاَزلةِ فتاّةٍ أخرَى متوسطَةِ الطُولِ، بيضاَءَ البَشرةِ كاَلثلجِ لا يقدرْ، وفورًا يبادرُ وكأنّما يساقُ إلى الحُور العينْ وهوَ فرحٌ مغتبطٌ، فيقتربُ منهاَ إقترابَ القطّ البريء من الحمامَة أوْ العصفورِ المسكينِ، الذّي نزلَ من عشّهِ الواسِع الآمنْ ليشْربَ قطرةَ ماءٍ من تلكَ البحيرَة بطرفِ الطريقِ قائلاً لهَا: "ما رأيت مثلكِ جمالاً ناصعًا فياضًا يصدُّ العواصِف عنْ قلبي، لأنصَاعَ لهُ من أولِ محاولةٍ فأصبِح طعمًا سهلاً لسمكِ القرشِ الكبيرْ، وأنا التّي كانتْ توصِيني أمِي: إيآك والخروجَ منْ بَحركِ فِي وضحِ النّهارِ لأنّ أسماكَ القرشِ ستصطادُك بليونةٍ، وفِي لحظةٍ نسيتُ كلامَك يا أمِي لأنقادَ لهُ ولمطالبهِ الدنيئةِ ،نعمْ .. الآنَ سأحلُم أنّه سيتزوجنِي وكماَ قالَ "سأصدُّ العواصِف عنْ قلبِه وبيتِه".

أجلسُ محدبةَ الظَهر أطلقُ لعناتٍ وشتائِم علَى زَمنٍ باتَ لِي سّجَانًا، ليسَ لأنِّي رسَبتُ فِي إمتحانِ التّاريـخِ وإنّما لأنّي أخذتُ علامةً ضعيفَةً جدًا بالمقارنَةِ معَ سناءْ، وَيا للهولْ ..!، لقدْ كنتُ أحسنَ منهَا فما الذي حدَث الآنْ؟، أقْرعتِ الطُّبولُ

في رأسِي مجيبةً: "حقيقةً لقدْ كنْت لبِيبة، ولكنّكَ يا فتاةْ مّا أصبحتِ جديرَة..!.

فأقُوم مسْرعةً نحوَ غرفتِي لأخفَف عن نفْسي آلامَ الحسدِ والغيرَة ..!.

ومع شروق الشمس أحمل حقيبتي مزودة بأدواتي المدرسية، وقبل أن أغادر المنزل تهرول أمي نحوي من أجل علبة الغذاء، لا أعرف لماذا ككل مرة أنساها فتضطر أمي لتذكيري بها، وفعلا أخذت ما يجب أخذه وأسرعت باللحاق بالحافلة للتنقل للثانوية العامة، لم تنسَ أمي بدورها الدعاء لي بالتوفيق وأن أعود سالمة لها، لأن منطقتنا كثيرا ما يعرف عنها "خرج ولم يعد".

جلست جلسة منتصبا لسارية العلم لأردد نشيد وطني تزامنا مع ذكرى الراحل رئيسنا وقائدنا "ياسر عرفات" رحمه الله_كان إحساسا رائعا أن تعبر عن كل شيء تريد قوله في شكل نشيد يحمل أطلالك إلى غيرك..

أعْترفُ أنّ أمي لمْ تكنْ وجهتِي ومفتاحًا لأسراري، بل كانتْ الوِجهةَ المعاكسّة باتجاهِ عَقاربِ السّاعة إلىَ صديقتِي سناءْ التّي لمْ تكنْ تبالِي بمَا يحدثُ لِي بالصّف؛ سناء فتاةٌ سمراَء تجيدُ الرياضَة، ويميزّها جَسدهَا الرشِيقْ، تدرُس معِي ..سوسُو كمَا كنت أناديني. طيّبَة أناَ عندماَ أعطي صَندوقَ أسْرارِي للشَخص الخَطأ وآخذُ منهُ جرعاتِ النصّح وكأنّي أتسَولُ النصيحة، وأصدُّ البابَ عنْ من هُو أقربُ إليٌ منْ حبلِ الوريدْ أوْ حمقاءَ بنكهةِ طيبَة!.

ولَاتزالُ سناءُ تزّفُ سُمهَا اللادغْ المحجوبَ وراءَ ابتسَامتهاَ الصفراءِ بقولهاَ: نعمْ، أرَى أنّه يحبكِ، ويريدُ الزواَج منْك لذلِك حافظِي عليْه، وهِي فِي حقيقَةِ الأمرِ كانتْ ترَى غيرَ ذلكْ. تخاطبنِي أمِي: "أنتِ طَالبةٌ فِي الثانويةِ ياَ بنيتِي وقدْ بلغتِ الآنَ سِن17ربيعَا، هلاّ حافظتِ علَى عفتكِ، وصنتِ عرضكِ فأبوكِ لا يحتمِلُ كوارثَ الدهْر، فكيفَ بكارثةٍ تصدرُ من إبنتهِ الوحيدةِ"، كانتْ تلكَ الكلماتْ ترنُ كلّ سويعاتٍ علىَ مسامعِي لتذكرِنِي بأنّ وقتَ اللّعبِ واللعبةَ قد انتهتْ، لكنْ لحظاتُ الحبّ لا تنسَى، كيفَ لِي أَن أنهيّ اللعبةَ وقدْ تلذذْت بالربْح من كلّ الجهاَت،إلاّ فِي دراستِي التيّ بعدتِ الشقَة، لقدْ فاتَ القطارُ يا أماهْ!، وبتول لمْ تعدْ تلكَ الفتاةُ المسكينةَ الصغيرَة التّي يلزمُ عليهاَ استشارةُ والدتهَا حتّى فِي غسلِ أسنانهَا، كانتْ أمِي حميدَة ترَى أنّ تصرفِي تغيّر وصارَ شبْه خالٍ منْ مشاعرِ البَراءةِ والطفولَة، التِي كانتْ تعتريني صغيرةً وحتّى والِدي أحمَد لاَحظ هو الآخَرَ ما كان يقلقُ ربّة بيتهِ فقامَ يتحدث لها: لقد أمضينا وقتا طويلا يا حميدة نربي إبنتنا على مكارم الأخلاق وتعاليم الدين وهانحن نرى منها مالا يسر الخاطر ولايجبر القلوب، فكيف لنا أن نفعل وأن نعرف ما يدور في مخيلة إبنتك وأنا شيخ قد ناهزت السبعين من عمري ولم أعد قادرا على ترصد فلتات إبنتي!، فتقول أمي بقلق واضح هو الآخر يقلقها ويزيد من إرتفاع ضغط الدم عندها: وأنا ما عساي أفعل وقد تجرعت مرارة ألم تربيتها في ظروف عجز الأهل عن مساندتي، وتعرف أنني أيضا إمرأة عجوز لا أستطيع أن أؤثر على عقلها في هذا السن، هي تقول أنها تعرف مصلحتها جيدا...

عند عودتي للمنزل استرحت قليلا وقمت باتجاه المطبخ لتحضير وجبة العشاء، بدأت بالطهو حتى رنّ الهاتف أسرعت للإجابة فإذا بي أسمع صوتا غريبا عمن أعرفهم قائلا: صباح الخير عمي أحمد.

فرددت :أنا إبنته من أخبره؟.

_أنتِ بتول إبنته؟، أخبريه أنني إبن عمه لكن أبي كان أسير الليل والعتمة فطلب مني أن أخبره أن يحضر وزوجته عنده لمناقشته في موضوع خاص، لم تكن إلا أمي بجانبي فأخبرتها بما قال لي، فحركت أمي رأسها أحسست أنّها تعرف ما الخبر.

ألححت كثيرا لمعرفة ما يدور حولي حتى أخبرتني أمي أنّه على ما أعتقد سيطرح أمر زواجك من ابن اخيه أدهم، ولأننا كمعظم العائلات عند ولادتك أب أدهم إتفق مع أبوك على زواجكما عندما تكبران، وأظن أنه قد حان الوقت لذلك، ربما سيتفقون على خطبتكما وخلال عام أو عامين يكون العرس.

حقيقة من هول ما سمعت تجمدت الحروف في لساني، فلم أنطق بحرف واحد، إكتفيت فقط بالخروج مباشرة وترك مائدة العشاء شطر غرفتي لأبث كل ما أحسه لمذكرتي !.

فهل يمكن أن تعود النفوس إلى ما فطرت عليه؟.

وهل تستقي البشرية أملها من حياة اليأس فتأخذ جرعتها من تحت ستائر الوجع لتعلن حربها على هذيانها؟.

كانت الشمس في كبد السماء تداعب خصلات أشعتها الحارقة حينما ولجت أمي الغرفة فجأة فقالت لي: صارة ما بك عزيزتي؟، وما المشكلة إن لم تتحصلي على الفرع الذي أردته؟، أدرسي غيره.

ابتسمت لها إبتسامة مصطنعة وقلت: حسنا أمي سأفعل، كل ما في الأمر أنني لم أكن أريد التحدث إلى أحد، بقيت منعزلة لمدة طويلة حتى أني كنت أرفض الاستمتاع بالعطلة كغيري من الفتيات، وحيث كان من المفترض أن أقرأ كتابنا المقدس"التلمود"كنت أستمع إلى الموسيقى ليس فقط هربا من التوبيخات التي كنت أحس أنها تقصدني في الكتاب المقدس وإنما خوفا أيضا من توجيهاته وطمعا في الترويح عن النفس.

الوقت الذي أقضيه باستمتاع هو الوقت الذي أمارس فيه ركوب الخيل الذي إعتدته منذ صغري، وكوني من عائلة مرموقة ومعروفة في مجتمع اليهود أحسست أن واجباتي في ازدياد كل يوم، لأن الضغط الذي كانت تمارسه عليّ عائلتي ليس بالهين ..

_إنه يوم السبت ..صارة يجب أن نزور دار العبادة أسرعي.

_حسنا أمي.

_أنظري إلى شوارع القدس العتيقة، وانظري إلى ملابس المسلمين أيضا و..

_أصمتي ندى لاداعي لهذا الحديث الآن.

_بالرغم من أنني فتاة يهودية غير أن إنجذابي للمسلمين وخاصة ملابسهم أضحت تفوق تخيلاتي، والأعجب من ذلك أني كنت أرى أن مسجد المسلمين كان يعج بالمصلين سائر الأيام عكسنا نحن الذين لا نملك إلا يوم السبت لأداء صلواتنا، ورغم ذلك أجده يقل مئة مرة عن عدد المسلمين، كانت تبادرني أسئلة بخصوص هذا الموضوع ...للصراحة حقا إنه غريب.

وها نحن في طريق العودة من دار العبادة التي لم نقضي فيها إلا حوالي خمسة دقائق بثثنا فيه جلّ مشاعرنا وطلباتنا نلتقي بمشرف الكنيسة لآخذ بركته كسائر الأيام قائلا لي:"الله يباركك ويحميك "..

رجعت إلى المنزل وبدأت أحضر أغراضي الخاصة بالجامعة التي ستكون أول بداية لي فيها في الغد..

“““““““““

أسدل الليل ستار سكونه وأنار القمر حيّ"سلوان" وكانت من عادات تلك القرية أن يجتمع أهلها تحت بهو بيوتهم يتسامرون إلى أجل ثم يولي كل واحد منهم وجهه لغرفة النوم، ربما لأنهم كانوا يعتقدون أن في تلك الأثناء تنزل البركات وهذا ما كانت تظنه القرى المجاورة من خزعبلات قريتنا...

..يخرج شبح السيد جمال قبل الفجر بنصف ساعة إلى فتح دكانه، وهذا ما يعتبره الناس أمرا غريبا لا يتناسق وأوضاع القرية ..كان يعرف ب"البهلول"جمال .. ويوم سألت والدته التي بلغت السبعين من عمرها قائلا: ماذا دهى إبنك يسبق العصافير في تحليقها ويعود كالسارق منتصف الليل؟، الجدة

"ربيعة "من ألطف ناس القرية كانت تشكو من تعامل ابنها "، فلازالت تلقي لعنتها على تصرفاته العصبية الغريبة كل ما التقت امرئ، قالت لي تلك الجدة : اسأله!..

فلسطين أين توجد القيم العليا وأين تفتقد أيضا بسبب الفساد الذي انتشر بأرضها ودماء الشهداء التي صفات تربتها، كيف يعيش السيء و الجيد، القوي والضعيف بأرض واحدة؟. .. أتذكر حينما كنت عندما كنت أرعى الأغنام عند أحد سادة القرية "السيد منصور "رأيت ما لم تره عين عن أخلاق هذه القرية، ناسها بعضهم إلى بعض محبا و بعضهم مبغضا.

تسمرت في مكاني لمدة جيدة أتفحص غرفة أبي الذي فقدته منذ أكثر من خمس سنوات، وفي كل مرة ألج تلك الغرفة وكأني ألجها لأول مرة، نظرت إلى جدرانها المطلية باللون الأصفر الذهبي وقد طليت بعرق أبي قبل لونها، وورود حمراء على التفافات الجدران وعتبة صغيرة في مقدمة المدخل، أتذكر عندما كنت صغيرا وركضت إلى الحجرة راغبا بالدخول فسقطت على تلك العتبة فأوشك أبي على نزعها من زينة البيت لولا رفض أمي ...ولحد هذه اللحظة لازلت أستمتع بالتحديق بالمنزل وقد أمضيت فيه سنين معدودة، وأنا أستمع إلى قصص حول إختفاء أبي.

أمي تقول أنه قتل منذ زمن من قبل أعدائه، ولكن جيراننا قالوا غير ذلك، قالوا أنه لم يمت!.

وهذا ما لا أصدقه ،ولا أظن أني سأصدقه يوما!.

،،،،،،،،،،

..كانَ حبّاً من نوْعِ آخرْ حباً إذَا ذاقَه المرءُ ارتوَى واكتفَى، فلربّما كانتْ الأفكَار التّي تراوِدني حوالِي السّاعة العاشِرة أو الحاديَةَ عشَر ليلاً معظَمها صراعٌ بينَ الفكْر المتأثرِ بأفكَار وغمراتِ الدنياَ، والقلبِ المضطهدِ في حضرَتها والمطمئِن في ملكوتهِ، وكنتُ دائمًا ماأفكرُ في آخرِ الأمْر منْ سَينتصرْ العقلُ أو القلبْ؟، وتساءلْت ما إذا كنتُ سأظلُ أحبُه بهذاَ الكّم أوْ سيتزحزحُ ذلكَ الحبّ من مكانهِ لينطفئَ كشمعةٍ هبَّ عليهَا نسيمٌ باردٌ منتصفَ الليلِ فجعلهاَ جاثمةً مكانهاَ منطفأةً ووحيدَة.. لا أبدًا، فهذاَ حبّ يعادلُ ألفَ حُب علىَ أديمِ الأرضِ كماَ قالَ ربّناَ سبحانَه:"والذّينَ آمنُوا أشّدُ حبًّا للّه"، وأنا أحبك ربِّ!، بدأت أغوار الأسئلة تدور في رأسي لتكشف جانبا آخر من العلاقة المخفية، ترى ماذا سيحصُل إنْ علمَ أبِي بعلاقتِي معَ أليكس؟.

أَنا أعرِف أنّها فتاةٌ مسكينَة طيبَة، لكنْ هلْ أبِي سيتقبلُ الموضوعَ بكلّ رحابَة صَدر، أوْ أنّه سيضيِق صَدرهُ بما يقولونْ؟.

كاَنت كُلّ هذِه الصراعاَت السياسيّة والاجتماعيّة تضيقُ الخنَاق عليّ وتخيّم علىَ جفونِي دموعاً صامتَة متجمدةً بفرحَة تارةً وبحزنٍ تارةً أخرَى تزْوي رغبتِي في توقفِ عقربِ الساعَة ودخولهِ في سباتٍ ليكفَ عن إزعاجِي وتغليِي وتحميلِي فوقَ طاقتِي...

..وككّلّ فجْر أغردُ كسنًّا بلبلِ بصَوت يرتجِف قلقًا وحزنًا كالظلماَت فِي بحرٍ لجِيٍ يغشاهُ موجٌ من فوقهِ موجٌ من فوقِه سحابٌ فِي ترتيِل كلامٍ الله عزوجلْ لأمشِي بخطًى متثاقلَةً إلى الجامِعة، فأجدَ أليكس تنتظرُني مبتسِمة وكأَنها تنتظِر النوُر لينيرَ لهاَ دربهَا وهيَ التِي أخبرتنِي؛"بأنِي أنرتُ حياتهاَ بولوجِي من ذلكَ البابِ المنيرْ ".

فكيفَ لِي أن أطفأَ ذلكَ النوُر بيدَي اللَتان طالماَ حملتاَهُ !وكيفَ...وكيفْ...؟.

_السلامُ عليكمْ بتول.

_وعليكُم السلام.آ لقدْ تعلمْت تحيةَ طيبَة مباركةً، أحسنتِ عزيزتِي .

-بتول وعدتنِي بأنْ تحضِري لي حروفكَ لأراَها.

_طبعاً، لقد أحضرتُها وسأسمعِك أياهَا، تعرفينَ أناَ أحبّ الكتابةَ البسيطَة السَهلة فأرجُو أَن تناَل إعجابكِ.

_اسمعيني كونِي بسيِطة فِي كلّ شيءْ، إلاّ فِي الكتابة فأبدعي فيها واتركِي بصمتك عليها..!. صحيح، بتِول لماذا انزعجت البارحة عندما سألتك عن ذلك الشاب الذي كان يحدق بك؟.

_لا أليكس لم أنزعج، لكن لي قصة طويلة معه.

_بتوا أنا لا أريد أن أتدخل في شؤونك لكن إذا رغبت بإخباري فلك ذلك..

_حسنا سأخبرك.

قصتي معه بدأت في ذلك اليوم عندما تساقطت أوراق الخريف معلنة عن بداية قصة جديدة من قصص الحب الخادع، عندها إلتقيت به عند حنفية مياه بمنطقتنا بالقدس ليمكر بي بكلامه المعسول، فأنجر وراء عواطفي لأكون فريسة تحت ذكاء غبي، فطلب سلمان (وهو اسمه) رقم هاتفي ومن أول وهلة أعجبت به وفورا بادرت في إعطائه الرقم لتصبح علاقة حب من طرف واحد مقطوع الصلة معه، وقد استمرت علاقتنا لسنة واحدة لأكتشف بعد ذلك مكره وخيانته مع صديقتي العزيزة سناء، فانفصلت عنه انفصال الوريد والشريان ليصبح الوريد حرا طليقا عن الشريان، وكم كانت أيام محزنة، وبعدها حوالي شهر توفيت نبضات قلبي أمي الغالية لتتركني أغرق حزنا في بحر الألم من جديد، حزنت لأجلها أكثر من حزني عليه بكثير، لكن سرعان ما تكيفت مع الموضوع بفضل مواساة الله لي..

وهذه هي قصتي باختصار

_محزن حقا، لكن ألم يجرب عناء الإتصال؟.

_ بل جرب مرارا ولكن لم أرعه إنتباهي.

_ قالت أليكس بصوتها الحزين المرتجف خوفا:" وهل أمك كانت مريضة؟.

_لا، بل قتلت من طرف ال..(.لكنني لم أكمل!).

_فقالت أليكس :"من طرفنا نحن "أليس كذلك؟.

_فأومأت برأسي قاصدة' بلى' ولم أزد كلمة لأني استنزفت دموع عيني.

فأخذت أليكس تمسح الدموع عني وتواسيني: "أعتذر بتول أنا حقا آسفة على مافعلناه، نحن جدا قساة؟.

_لا عزيزتي لا تعتذري فأنت أختي، التي أهداها القدر لي!.

بدأ هويل الإشاعات يتفاقم في مجتمعنا وكأننا لم نلبث عشية ولا ضحاها.. بأنني أصاحب فتاة يهودية وكذلك كان بالنسبة لعائلة ألكس.

فاضطرب أبي بإبعادي قهرا عن حياة اليهود قائلا:

_نحن لا ينقصنا ذلك الهم يا بتول، لقد شرحت لك الوضع بأن تندمجي معهم لا أن تصاحبيهم، فهم من قتلوا حميدة أمك أنسيتي؟.

_لكن يا أبي أليكس فتاة رائعة، وخلوقة ..يقاطعني أخي كاروا في غضب: كفي عن المدافعة عنها ألا تتذكرين أنهم حرمونا من أمّنا وقبل هذا أمننا؟، ألاتتذكرين كيف قتلها ذلك الجندي التافه عندما اشتبه بها بأنها تخفي المرابطين؟.

_بل، كل شيء محفور في ذاكرتي يقطع عروقها فتنزف دما، لكن ماعساي أفعل؟، هي طيبة وغالية علي!.

اتصلت فورا بعد ذلك النقاش الحاد بصفيّتي اليكس لأحكي لها ما ألمّ بي من ألم قائلة:

راودتني نفسي أن أحضر الساعة عندك لولا شفوف الليل لما
ت في المجيء، فأبي رفض علاقة صداقة

اتخذا والدا أليكس قرارهما بإبعادها عن حياة المسلمين لما رأوا من تأثرها بهم فنادتها أمها:

_صارة.. تعالي!.

_ماذا يا أمي؟.

_أبوك حضر لك مفاجأة.

_مفاجأة!.

_لقد قررت أنا وأمك بعثك إلى لندن للدراسة، فلطالما كنت تريدين الذهاب هناك، مارأيك يا أليكس؟.

(_إصفر وجه صارة)وقالت: أنا لا أريد الذهاب إلى لندن، بل سأكمل دراستي هنا.

استمر جدال صارة ووالديها حول دراستها في لندن، وبعد ذلك الجدال أجبرت أليكس بالذهاب لأن والدها قال لها:

إن لم تذهبي يا صارة ثقي أنني سأجعلهم يقتلون تلك الفتاة وأهلها.

_تفاجأت الفتاة من قسوة والدها وقررت الذهاب، فحزمت أمتعتها وأمطار عينيها تنزل، وحتى أنها لم تخبرني بذهابها.. رحلت صارة ورحل معها المرح والفرح الذي كان يملأ قلبي من يوم التقائنا..

فهل سنلتقي مجددا ليعاد لنا ألبوم الذكريات ذاك؟، وهل سينجلي الليل السرمديّ من حياتنا لنعيش كطائر حرّ في سماء الحرية بجوار محطة الوصول؟.

*** * ******

قبل ثلاثة أشهر..!.

..هناك على شاطئ الألم تم إرساء بواخر الحنين والشوق إلى سارقي الحيتان، لا أدري هل أبيع تلك الحيتان أم عليّ أن أتصدق بها لأول شخص أقابله؟، مع أنني سبق وبعتها ولم أقبض ثمنها سوى ثمن بخس دراهم معدودة، حيتان جميلة مزركشة بأبهى الألوان تساوي ذلك الثمن الزهيد؟!.

لتجعل من أمواج شاطئي تهيج ثم تهيج فتراه مصفرا، لتصل بعد ذلك إلى أعلى موجة من الألم والغضب لألاحظ من بعدها سمك القرش الكبير يبتلع تلك الحيتان، حزنت لأجلها وتألمت كثيرا، وكأن شيئا عظيما اخترق صدري، لكنها والله أرحم من الذي سرقها ودمر مرجان بحري، بعد ما كان قد زين مساكن الحيتان، وفي ذلك الغروب أجد الشمس قد أفلت، والنجوم قد أطلت، أما القمر فقد داعب أمواجي في تلك الليلة المليئة بالصخب والخراب الداخلي، لكن تهلكني سفني وتفضحني فهي لاتزال تقف عند عتبات ذكريات وحنين أولئك الأوغاد!.

لازلت أقاوم ...سأستمر بالمقاومة!.

يطلّ أبي كعادته على غرفتي بعد أن دّق الباب فيجدني ككل مرة أجلس على كرسيّ أمام طاولتي المخصصة للدراسة، أأفتح دفتري الأخضر أكتب عليه قصائدي، وخواطري فيقول لي بعطف الأب، وحنان الأم " الذي أصبح يتقلده

بعد وفاة والدتي -رحمها الله-: بنيتي أجدك دائما غارقة في أفكارك أتكتبين شيئا مهما؟، فأجيبه مبتسمة :"أنا أكتب خواطر وأشعار أشهر منذ أن اكتشفت أنني

_ماهذا يا كارو؟.

_أتتذكرين عندما كنت صغيرة، كنت لا تحبين الكتابة، ولكن الآن أصبحت فتاة جميلة ترضيك الكتابة مؤنسا ..هذه دفاتر وأغراض تخص الكتابة، سمعت أبي يقول أنك ستصبحين كاتبة وها أنا أبتاع لك ما تحتاجينه!.

أغرورقت بدموعي وقلت بسمت رهيب: شكرا لك أخي، فخورة بك يا كاروا الوسيم..

_أعرف، أعرف إذهبي وجهزي نفسك للذهاب إلى

جامعتك، فغدا يومك الأول.

وقد كان سمير أخي يناديني بكاتي لأنني كنت فتاة أعشقق القطط وكثيرا ما كنت أجلب القطط البرية للمنزل لأطعمها، أما هو فأناديه كاروا على اسم بطل فيلم شاهدته عندما لم أتجاوز السنة العاشرة خريفا. .

في الصباح الباكر أستيقظ مع عصافير لأجهز الفطور و أقوم بتنظيف المنزل ثم أطير نحو الجامعة بالقدس، وقد اخترت دراسة الهندسة المعمارية التي أحببتها كثيرا مع مرور الوقت ..دخلت تلك الجامعة فمتلأت عيني دهشة من المنظر

المبهر للجامعة وكنت برفقة زميلتي سماهر المشاكسة:
رائعة سنمضي وقتا رائعا هنا يا بتول.

أنظر إليها نظرة تمحيص:"لا يا عزيزتي بل سندرس !.

افترقت بعد ذلك عن سماهر ودخلت كل واحدة منا قاعة المحاضرة، بعدما اتفقنا على إكمال مشوارنا في اكتشاف أسرار الجامعة بعد المحاضرة..

_انتهت المحاضرة وأنا أصيح:"من أخذ دفتري "؟.

قلبت حقيبتي ذات اليمين وذات الشمال فلم أجد دفتري!، لأنظر خلفي فأجد فتاة جميلة ترتدي نظارات، شعرها طويل منسدل على كتفيها، ترتدي سروال جينز وسترة بيضاء بسيطة، مع أنها لا تظهر عليها البساطة، كانت تحمل دفتري، وبخفة دم وابتسامة أعطته لي قائلة: "أعتذر منك لأخذي دفترك دون إذن، فقط فاتتني بعض الكلمات فنقلتها من دفترك "وقد كانت تتحدث الأنجليزية بطلاقة، فابتسمت لها وقلت مجيبة بالعربية: لابأس في ذلك "، فدحرجتني الفتاة بنظرة استغراب أخافتني، ربما لأن هذه النظرات لم أتعود عليها، لكنني فهمت منها أنها لم تفهم ماقلت لها، فهمست فتاة أخرى في أذني، أنها تتحدث الأنجليزية وليس العربية، لذلك لم تفهم قولك...!.

فقلت للفتاة المتحدثة بالأنجليزية:"قلت لك على الرحب والسعة" ابتسمت الفتاة ومدت يدها لي لتصافحني وقالت :أنا صارة.

_وأنا بتول أو ناديني بكاتي.

كانت صارة لينة النحيزة، تتعامل بسمت، تبدو خفيفة السليقة..

وكون أن صارة تدرس بالصف نفسه معي فإنها أصبحت صديقتي الوحيدة مع أنها من غير طائفتي، أصبحنا نستمتع كثيرا في قضاء الوقت مع بعضنا غير أني استطعت التأثير على صارة في لباسها، وإضافة بعض المصطلحات العربية إلى رصيدها، وتعرفت أنا كذلك على الكثير من عادات اليهود فقد أمضينا جلّ وقتنا نأكل معا، ونجلس معا وحتى أننا نحل واجباتنا معا، وجدت أنا أنيس وحدتي مع تصادم التفكير بيننا إلا أننا تأقلمنا سريعا، كذلك وجدت صارة من يتقبلها على أنها إنسان لا يهودية..ومن جهة أخرى كنّا ككتابين يقرأ بعضنا بعضاً.

...بدأت مشوار الكتابة وقد كانت خاطرة :"جاءني شيطاني"أول خاطرة أشارك بها في حفل السنوي للجامعة.

فأخذت أتمرن على حفظها

قمت يوما أتوضأ لأصلي

فوجدت نفسي أغني

فأقول :مابك يا نفس اصبري حتى تنهي

وأخذتني ألهو بعيدا

حتى عدت كالرضيع من جديد

جاءني شيطاني...

عندما جلست للتسبيح والتهليل

أبعدني عن التفكيرِ بالسهو والشرود

حتى كدت أنسى أمور ديني

وسألت وقت الصلاة مابالي لا أبالي؟.

فهو وقت الفلاح

جاءني شيطاني..فقال!.

ليس هناك ضرورة لتعاني

دعك من الصلاة ومن تلك المعاناة

واهتمي بجمالك لتكوني للأجيال المنارة

وفي موعد مع القرآن

جاءني شيطاني..!

فوسوس لي شيء غاية في العجب

قراءة القرآن دون وضوء ليس من الأداب

وتغطية الرأس في فصل الصيف من الأمور الصعاب

فقمت عن القرآن والنفس محتارة

أأكمل هكذا أم علي بالسؤال؟.

وحتى أحاربه فأتحرر

فقلت مابك يا نفسي؟.

أتغلب عنك شيطاني!.

لقد أكثرت من الوسواس

فأستعيذ منك بربّ الناس

فعدت كما كنت من العبادة ولم أنتكس

والحمد لله ماعدت بعد ذلك أعاني!.

..لأختم خاطرتي بتصفيقات أبي ، وكلمات مليئة بالحنان والفخر:"أنت فخر أبيك"نعم.

_بسيط أنت يا أبي، دائما ماتقول الكلام نفسه، لكن في كل مرة يتغير معدل الشغف، وكأني أسمعها أول مرة يا أبتِ!.

بعد الحفل مباشرة تراجعت بخطوات ثابتة إلى المنزل حاملة شهادة تكريمية لأبي..

أبي هاهو حلمك، إبنتك أصبح اسمها يكتب بخط عريض، أنظر بتول أحمد عرفات"!.

لطالما تمنيت أن تكوني ناجحة يا بنيتي، وها أنا أشهد أولى خطواتك للنجاح..

****

على فضاء سمائي الواسع تتفن أجنحة السلام في إلقاء ألوانها الباهرة على مستشفى قلبي، الذي بات يتألم ثم اطمئن على سكنات ليالي عذراء، في تلك الليلة كان القصف قد دمر معظم بيوت المجاورة بغزة ونحن كوننا نقطن بالضفة الشرقية انتقلنا من بيتنا تلقاء الضفة الغربية عند منزل خالي طمعا في معرفة أخبار أهالينا بغزة كون جدتي امرأة خبيرة في معرفة خفايا الواقع، تتنبأ وتتوقع ما سيحدث ..أفكر أنه كيف لبيوت فلسطين أن تدمر وتنهب وجيوش العرب ينظرون مأساة أختهم فلسطين فتلك إذن قسمة ضيزى، قضينا أياما و شهورا في منزلهم إلا أن عاد الهدوء في غزة لكن لاتلبث أن تقوم حرب أخرى ودمار شامل ..

_كان يوما ماطرا، و الآن يجب أن نتسلل إلى البيت كاللصوص...

صحيح ،يا سجدة هيا إلحقي بي..

باتجاه الغرفة هرولت أنا وسجدة إبنة خالي التي تقاربني سنا، هي فتاة مرحة تحب اللهو، متفائلة.

ولجنا الغرفة وأشعلنا الأضواء ثم غيرنا ملابسنا المبللة مخافة أن تمرض إحدانا فيشك البقية في أمرها، والحمد لله مرت الأمور بخير ولم يعرف أحد أننا خرجنا لتفقد إخواننا المصابين في المستشفى والإطمئنان عليهم ..ومثل تائه مسكين تحت شفوف الليل تسلسل النعاس إلى جفني

فنمت نوما عميقا، ولأول مرة أحسست أني مطمئنة، ربما كان ذلك شعور العطف الذي توشحني ..

تقول سجدة بمرح :آه، وألف آه على لحظات قضيناها يابتول أمام ذلك الطفل الصغير وقد فرح بهديتنا له!.

_ياريتنا نستطيع أن نقدم له أكثر من ذلك..

انطفأت الأضوية وبدأت أحلامنا تتواتر إلينا مرة بعد مرة.

‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘

ها أنا يا أبي أقف أمام قبرك !،

أستنشق فوح ترابك وأسقي شجرة زرعتها لك منذ خمس سنوات، لكن الشجرة لم تكبر يا أبي مع أني ظللت أسقيها منذ زمن بعيد، بل يبست وأظنها أوشكت على الموت ...وقد كانوا يقولون قديما أن الشجرة اذا لم تكبر مع السقي فإن المدفون في القبر ليس مرتاحا أو بالأصل ليس بميت.

تلك الشجرة التي يستظل تحتها قبرك ، هاهي الشمس تسدل ضوءها الوهاج المحتشم على الثرى -رحمك الله يا أبي.

مع أني لم أرَ جثتك بحياتي غير أننا قررنا عمل عزاء لك ودفن جثتك المحروقة التي لم نعرف فيها شيئا منك، لكن كل الدلائل تقول أنها أنت.

حذاء ذو الكعب المرتفع في مقدمة الرِجل وسبحتك التي كنت تحملها معك شاهدة على أنك أنت تحت الثرى.

جلست يومها أمام قبرك إلى أن ولت الشمس مدبرة بشفقها الأحمر فكان وقت عودتي للمنزل، لكن سأخبرك خبرا سعيدا يا أبي: ابنتك إسراء ستعود غدا وزوجها من ديار الغربة إلى بلدتنا، وأعدك أن أحضرها لقبرك لتراها!.

مشيت شطر السهول المنحدرة ببطئ شديد أتفقد الجبال وأتفحص المكان جيدا، منظره الخلاب بطبيعة السلام المرمي على شرفات حدوده، عدت إلى المنزل وقرعت الباب إلى أن وجدت أختي إسراء التي فتحت الباب بابتسامتها السحرية المعتادة وقالت بصوت حنون: أهلا بأخي الغالي.

دنفت إلى غرفة الاستقبال وهناك وجدت زوجها سامي الذي يعمل كمدير في مدرسة وابنها الصغير المريض بمتلازمة داون.

أسرني منظر الفتى الصغير الذي يبلغ من العمر خمس سنوات وقد بدت عليه الفطنة، حيث كان من الأذكياء الذين لم يولدوا في عصرنا، جلست بجانب صهري وأخذت أكلمه حتى حلّ الليل و تجمعنا حول مائدة العشاء، الذي أعدته أمي وأختي إسراء التي لم تنسَ من تقاليدنا شيئا، أعدت الكسكس الجزائري اللذيذ مع الكثير من الأطعمة الأخرى، شرعنا في الأكل، وبينما نحن كذلك دقّ الباب فخرجت لأستطلع الأمر ..

-أهلا أخي أدهم تفضل بالدخول.

-لا يا سلمان هناك أمر ضروري أحضرني هذا الوقت المتقطع من الليل.

-أخبرني، هل هناك شيء؟.

-في الحقيقة نعم، لقد أوقدت النار في قلوب الأعداء، ووصلني الآن خبر أنهم ينوون على أمر خطير ضدنا ..وإني أخاف على السيد جمال أن يكشف أمره!.

- تبا!، لقد عملنا على إخفاء الأدلة جميعا، كيف حدث ذلك؟، ربما أن بيننا جاسوسا ..

-وأنا أفكر في الشيء نفسه ..سلمان علينا أن نجتمع غدا بعد صلاة الفجر لنجد حلا بسرعة.

-حاضر، سأخبر البقية بالموعد.

ولجت إلى المنزل مرة أخرى وكلي حسرة على وضعنا الراهن، فماذا سيحدث إن كشفت إحدى خططنا، واستطاع المحتل أن يعرف عناصرنا..!.

-سلمان، من كان على الباب بني؟.

-إنه أدهم يا أمي.

-لماذا لم تحضره معك؟، وماذا أراد؟.

-لا شيء أمي لقد أراد أوراقه التي خبأتها له وسأعطيه إياها في الصباح-ان شاء الله- ،وقال أنه مستعجل قليلا.

- كم كنت أتمنى رأيته، لم أره منذ وقت طويل؛ تقول إسراء.

-حسنا إسراء سأحضره في المرة القادمة وأخبره بقدومك..

ارتسمت على شفاه أمي وإسراء إبتسامة أعظم من ألف نصر، لكنهما لا تعرفان ماذا يوشك أن يحل قريبا من دارنا ...اللهم لطفك!.

وها قد لمتني يا أليكس لكن ماعسى يفيدني الشتم واللعن، ولو علمتم ما أخفي وما أسرّ لاختلفتم في الأقوال. تنهدت اليكس تنهيدة ضجر وزجر وقد ظهر عليها عدم التصديق وعدم المبالاة لما قلته تواً، وقبل أن تسرح في طرح افتراضياتها سارعت بالإجابة على أسئلتها المخفية وراء عدم اكتراثها قائلا : اليكس أنا لم أكن أغازل بتول أبدا بل كنت أغازل الحب الذي امتلك قلبي لسنوات منذ كنت صغيرا أحببت القدس فرأيتها في عينيها العسليتين، رأيت قبة الأقصى تسطع فتغزلت بها وطلبت رقم هاتفها كوني كنت ضد الكيان الصهيوني، وقد كنت أعلم أنها كانت تسير بالتوجه نفسه، شجاعتها التي جعلت منها إنسانة رائعة، لكني حقا كنت أتجسس عليها إن كانت ضمن فريقنا أو عميلة بعثها الكيان الصهيوني !.

اندهشت أليكس ممّ قلته وقالت مستغربة: إذن يا سلمان كنت تراقبها كما راقبتني !.

أجبتها وقد امتلأت غبطة من موقفها المعاكس وتفهمها الوضع :نعم !

أومأت برأسها وكأنها تنتظر شيئا آخر، أو توضيح أكثر من ذلك ..

لكن لم يكن هناك داع للحديث..

جلست بعدها أردد النشيد الذي يحدث جلبة في حياتي

«موطني...موطني»

الجلال والجمال والسماء والبهاء في رباك

هل أراك ...هل أراك!

سالما منعما وغانما مكرما

هل أراك في علاك

تبلغ السماك

«موطني... موطني»

يتغمدني فقر المشاعر المدقع ليسلبني حنينا كان بالأمس مجمعا.. تنزف عبراتي لتكون كسفا كسفا على نوافذ أطلال الشوق وتأخذني بل تجرني، وينتابني شعور بالخوف، وكأني أفر من قسورة، تلك الأحاسيس الضخمة في قالب صغير، وتلك المشاعر الصغيرة في قالب كبير ترهقني حتى الثمالة.

وعن التوقف من لثم رائحتها لا أقدر، مثل كائن ضعيف لا حياة له سوى لحظات ميتة.

قهوة، سجادة، مصحف وكائنات صغيرة، وكتاب تورطت في عشقه مثلك عزيزتي.. وها أنا الآن أقرأ كتابا أهديتني إياه يلقنني تعاليمكم، ثقافتكم لأعود يوما إليكم فألتقيك مسلمة عارفة بأمور الدين، أنا لا أنكر أنه كان صعبا علي إقناع أسرتي أنني أريد أن أصبح مسلمة، ولحد الآن يرفضون ذلك، ما عدا أختي الصغيرة التي أيدتني، ولكنني أثق أنني مسلمة مثلكم لأضيف كائنا ضعيفا كان تائها بزورقه في بحر الحياة في صفحات «اليهودية» بعد ما تعرفت على الإسلام جيدا، وما صرت خائفة من تلك الذرائع حوله، لقد رأيت الدرب المنير بفضلك وبفضل الله أولا.. تخجلني مداعبة القمر لي في ظلمة حالكة شديدة السواد تسبح حوله نجوم ملأت حبا لله، ولم أكن لأعدها بعد ذلك فيزورني نوم عميق على شباك نافذتي لأنام نومة الولد الصغير، الذي يحتاج حضن أمه الدافئ فأرى في منامي وكأني دخلت من باب يشع منه ضوء أخذت أتتبعه حتى ولجته، ورأيت طريقا نيرا عرفته أنه طريق الإسلام.. وأني على صواب بهذا القرار فأسميته «الدرب المنير».

تتحد دقات قلبي جهة الشمال مع نبضات عروقي اليمين كي تنسج إيقاعا مختلفا ألحانه يطرب السامع إذ ينصت.. ليس فقط من يسمع الأغاني تخشع للذتها أذانه، بل ألذ من ذلك كله سماع القرآن الذي تخشع له الأبدان.

ولحد الآن أصحو مع أذان الفجر لبداية يوم جميل كما اعتدت.. ويؤذن لصلاة العشاء فأعرف أن أعمالي كللت بالنجاح فقط لأني حافظت على صلواتي في وقتها.. يزول غضبي وتهدأ جوارحي لتوارى تحت أشعة الشمس شعاع أمل لم أعرفه، ها هو ذا ينير أعضائي فينجلي حزني وما كان حزنا أصلا، بل سماه هو كذلك، وأنا الآن أريد أن أشكرك صفيتي قبل أن نلتقي كنت ضائعة أمام طريق واحد تتفرع منه عدة طرق لكنك أنقذتني،فشكرا وألف ..

رسالة امتنان من فتاة أسلمت على يديك

معلمتي!.

قرأت مذكرة أليكس والدموع في عيني تحجرت، لك الله يا أليكس !لك الله..!.

تأخرت ..أو تأخر القدر في إحضارك إلي، بل القدر أتى بك في موعد محدد لكنها الحياة لعبت لعبتها مرة أخرى، فرقتنا الحياة مرة، وسيفرقنا الموت مرة أخرى، وكأن الموت والحياة إتحدا ..نعم قد إتحدا ..،سيخطفني اليوم الموت وأنا راضية لأنني سأموت شهيدة ولطالما تمنيت ذلك، فلماذ سأرفض؟.

_بتول هل حقا ستذهبين معهم لتجاهدي..!.

_نعم يا سجدة سأذهب ،وإن لم أ..

_لا يا بتول لاتقولي هذا، صحيح أنني حزينة لذهابك، لكني والله مسرورة من أجلك، لأنك ستقدمين شيئا لوطنك ..،فحضتني وهي تقول ..أنا فخورة بك.

_عليّ فقط أن أودع أمي وأبي وأيضا أخي..

_أمك..!

_نعم، فأخرجت صورة أمي التي احتفظت بها من يوم وفاتها في حقيبتي لأودع أمي، ثم فكرت أنه لا يجب أن أودعها، بل سأذهب إليها وألتقي بها في عالم البرزخ..

ذهبت بعدها لغرفة الإستقبال فوجدت أبي وأخي يجلسان فقمت لأقبل أبي وقلت بصوت حزين: أبي أنا ذاهبة وأرجو أن تسامحني.

لكن أبي ابتسم بدهشة وقال: لكن يا بنيتي أنت ذاهبة للجامعة، فلماذا هذا الكلام..؟.

كادت دموعي تغلبني لولم أستطع التحكم بنفسي التي أضحت غريبة عني فجأة...

جُرفت إلى عاتق عقلي ذكريات منمقة بصور الماضي، فجابت بي بضع سنين وسويعات فأنا لا أنسى ذلك اليوم الذي دخلت فيه البيت بعد الدراسة، وفي هنيهات حتى قاطعتُ حديث أمي وأبي باكية أشكو سوء حظي، وولجتُ تلك الغرفة المهترئة القديمة التي قد فرشت ببساط بسيط من الطراز القديم، و ارتميت على سريري الخشبي لأطلق العنان لنفسي بدمع كالسيل انجرف من عينيّ اللتان لازلتا تؤلمانني، وأظن أن دمعيّ قد جفّ.. غدر الصداقة .. طعنات في الظهر من أعز رفيقاتي ...دخلت أمي بعدها مباشرة لغرفتي فوجدتني أكتب في دفتري الأحمر الصغير وأنا أبكي، على حين غرة وبسؤال متواصل من منها، بحت لها بغدر صديقتي وماكان يدور في نفسي فوقعت مغميا عليهاا من هول مابشرت به، وبعد أيام قليلة وسقوط ملحوظ في دراستي.. بعد أن كنت في المراتب الأولى تراجعت علاماتي إلى مراتب الدنيا، شكيت وبكيت، تضايقت كثيرا، وانعزلت لكن في الأخير ابتعدت عن من خانني وغدر بي، وقد عانيت الأمرين، بوفاة والدتي التي كسر ظهري، والدتي التي دائما ماكانت توصيني أن أكون ماأردت، وأن أكمل دراستي رغم استحالة الأسباب والظروف ..إنعزالي عن العالم لم يكن صدفة بحتة بل كان عن دراية من احتياجي إلى فترات أزيل بها سكرات عواطفي وأحاسيسي التي كانت تأرجحني منتصف الليل

لتعيد لي ذكريات لم تمض بعد، لم يبق إلا أنا ووالدي أحمد وأيضا أخي سامي الذي كان يكبرني بثلاث سنوات والذي أناديه بكاروا، وأنا التي أعلم بأني صرت أهم شخص في حياة والدي وعلي الكثير من الإلتزامات، فلم أجد غير الله ملجأً ومأوى لي ربما يناسبني إن قلت بأني كنت خفاشا بالليل أنام إلا قليلا نصفه أو أزيد عليه وأجلس ممسكة بمصحفي الذي أهدته لي والدتي فأرتل القرآن ترتيلا لأجوب العالم كطائرصغير ابتهج بجمال الكون فتعاد لي الروح حين يمدحني أبي أحمد قائلا: "لقد أوتيتِ مزمارا من مزامير داوود"، أحسست وقتها بلذة العبادة والسكينة التي كانت تغشاني تسوقني إلى أعلى عليين، وقد اكتشفت صوتي الجميل في الترتيل، لذلك تعتبر الوحدة أحيانا المربي الأساسي والسر العظيم لاكتشاف المواهب ﴿واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ ..لحظات تدمع لها العيون بعد أن أقرأ كلام الله"إلا من أتى الله بقلب سليم" لتفيض مقلتايّ دمعا ويتكرر أمامي سيناريو أحزاني فأقول في نفسي:" الحمد لله الذي هداني لهذا وماكنت لأهتدي لولا أن هداني؛ " نزع من قلبي الحقد الذي تغلغل منذ سنة وملأ كل جوارحي...

_حقيقة علمتني تلك السنوات أن معي الله سيهديني، وينصرني وإن ظُلمت سينصفني هو ربي، هو مرشدي ..

وهكذا اعتنيت بوالدي لمدة طويلة وأكملت دراستي بشكل عادي وكأن شيء لم يحدث، طبعا لأن الصبر عند المصيبة الأولى هكذا كانت تعاليم خير خلق الله - عليه أفضل

الصلاة والسلام- ، هذه كانت إجابتي عند إلحاح صديقاتي ونعتي بأني باردة المشاعر..

فماذا لو فاجأتنا الأيام يوما قائلة : تحررت معشوقة الملايين!.

ماذا لوكتب على جدران قبتها "وذاك نصر عظيم"، والتفت الجنود حولك حامية رافعة علمك مرفرفا فوق الغيوم!.

******

رجوع بالزمن..!

..مرت أيام تلتها أسابيع وكرت بعدها أشهر وأعوام درست بكل جدية حتى استرجعت مرتبتي، وبجدارة نلت شهادة البكالوريا فكان والدي أسعد الناس بذلك حتى أنه أحضر لي هدية كانت صندوقا صغيرا أصفر اللون مخضرا جمع فيه صوري لما كنت صغيرة وعقدا قد اشتراه لي لمثل هذا اليوم ، وتلك اللآلئ التي كنت أعجب بها "لآلئ البحر" ولم يستطع غير ذلك لبساطة عيشه ولظروفه، ولعل أن انتمائنا إلى بلد الورود الحمراء فلسطين الجميلة وتواجدنا ضمن مغتصبي أرضنا جعله فخورا أحيانا، ومنعه من انبساط العيش كثيرا...

أو ربما أن وضح النهار كان يسد ثغرات الأحزان في حياتي ، ولكن يبقى الليل يعيد ترتيب تلك الأحزان من جديد، كنت أشمئز كل ليلة من ثقل همومي، وأجلس أعد لحظات الفرح في حياتي، مغادرة أمي التي أرجحت كفة ميزان الهموم تزيد الأمر تعقيدا والخيانة التي تعرضت لها من أعز صديقاتي تزيده تعقيدا فوق تعقيده المعقد ، غير وحدتي ..،رغم ذلك كنت أعرف أن الله هو الكافي، وكل العالم لا يملأ ذلك الفراغ داخلي غيره هو سبحانه، كنت نادمة. نعم ،ندمت لالتقائي بسلمان وسناء واسود العالم أمام ناظري للحظات معتبرة...

غير أن فترات الفرح التي كانت تصنعها لي صديقتي أليكس كانت تفي بغرض النسيان والتجاوز، وفي عالم الكتابة انغمست وخاصة الكتابة في الجرائد والمجلات باسم مستعار ، ذلك لأني عرفت أن القلم والرصاص يسيران جنبا

إلى جنب ..،وحتى أليكس لم تعرف أن كاتي بشير هو اسمي المقنع مع شكوكها الملحوظة في ذلك، لكن لا بأس مع مرور الوقت ستدرك ذلك..

فهل سيحدث ذلك الصدى الذي طالما أردته ؟.

وهل ستستقي الشمس أشعتها من نور الحرية القابعة خلف جدران الموت؟.

حسنا، سأقاوم..سأقاوم حتى النهاية !.

*** * * * ***

مذكرتي-2-

إليك عزيزتي ها أنا قد خرجت من منزلي بإتجاه منزل عمتي بالضفة أقف أمام الحاجز أنتظر دوري والصف لا يزال طويلا ،أزيل حقيبتي جانبا لأسرّع من عملية التفتيش اليومية وأنزع جلّ أساوري وخاتمي الثمين وحتى قلادتي البسيطة أقتلعها من رقبتي قبل أن يقتلعها أحد الجنود، وأسرع في إيجاد بطاقة عبوري التي كنت قد وضعتها قبل خروجي وتأكدت مرارا من تواجدها معي راجية ألا تتركني أنتظر سويعات طويلة كأسيرة وسط الزحام لكن قد اعتدت عليها!.

أعبر تلك الممرات الممتلئة وكأني عبرت فوق البحر ولم أغرق، هو إنجاز عظيم بالنسبة لي كمواطنة فلسطينية، يزداد تواتر النبض عند اختراق ذلك الحاجز من أحد المارّة دون تفتيش مايؤدي بنا إلى المكوث ساعات طوال أمام سلسلة الأدوار دون جدوى أوربما ليوم كامل.

عبرت وعبرت كل مخاوفي معي ..وصلنا والأمطار تهطل فوق رؤوسنا وكأنها تنذرنا بقدوم عاصفة ربما ستكون ثلجية باعتبارنا على مفاتح يناير، لكن في العصور القديمة كان الناس يعتقدون أن الأمطار تنبأ بوجود أخبار سيئة، ولكن جدتي دائما كانت تلقي على مسامعي عكس ذلك، فقد قالت لي يوما قبل وفاتها_رحمها الله_أن الأمطار غيث ودليل على قدوم الخيرات على أهل البلد، لذلك كنت أسير على هاته المقولة كلما تساقطت الأمطار أو الغيث، وربما كان حدس جدتي قويا بقدوم أخبار سارة لكن للأسف ليس على بلدنا بل على بلدان أجانب..

لاعلينا فقد حملت كل تلك الأسرار والمسرات داخل جعبة قلبي وتناظرت وعصافير الطبيعة أحكي لهم سوء فهمي ويجيبون بتغريدة حزينة تنبئ بمواساتهم لي، فمن قال أن الطيور لا تفهم؟،ربما قد تكون لاتفهم حقا لكن لديها إحساس أحنّ وأعمق من إحساس البشر.

** * ** *

مرت أعوام من حياتي شاهدت الدماء تنزل على عتبات أبواب الذكريات كما الآن تماما، ولازال هطول الدماء على أبواب الأمهات والعائلات الفلسطينية، نعاني الويلات، وأخوتنا العرب أمام التلفاز يترصدون أخبار العالمية فلربما يمرون بقناة إخبارية فلسطينية لتنقل الحقيقة المشوهة بحرفية إليكم، وماذا بعد؟.

لاشيء أبدا، فإنهم يقولون أن أقصر مسافة بين الناس هي القصة عبر التلفاز ولكني أعقب عليه قائلة بل إن أكبر مسافة تقطعها أشواط لتعرف قصص العالم هو تصريح في كتاب ،لا التلفاز ،لا الإعلام ،لا الصور ،كلهم مزيفون وهم حقيقيون !.

فيا دفتري سجل!

سجل بأني فتاة في مقتبل العمر

صار همي الكفاح قبل أن يصير همهم

سجل أن كل المصالح

أضحت شرابا سائغا للذئاب

نعم،سجل..!

سجل وعقارب الساعة شاهدة

تميط الغبار عن زجاجها

وكل الجراثيم حولها تترصد ذرائعها

سجل وأنا معك هنا أسجل !.

من أرضنا الطاهرة أسجل مرورا

بسوريا ولبنان وليبيا، وغيرها كثير أذكر

سجل..!

أنهم وضعوا الحجاب على أعينهم

وعلمونا أننا بالعلم ترفع الأمم

وتزال أطياف الظلم

وهاهم الآن من أتباع ذلك الكلم

سجل أن الإخوان تظل حبرا على ورق

وأنا معك يازمن أسجل!.

_على لمسات المدافع والصواريخ نستيقظ أغلب الصباح، عائلات فلسطينية لاجئين، مشردين ،أيتام، أرامل لنعرف من نكون !"عبارة من أنا؟ولماذا أنا؟.

هكذا كتب لاجئ فلسطيني على ورقته التي شكلها قاربا بعد ذلك ورماها في البحر الميت بالحد الفاصل بين فلسطين و الأردن ويقول:"يا بحر اشهد أنني لا أعرف من أكون؟، أبي وأمي تركاني منذ طفولتي على رصيف المشاعر الأبوية والأمومة الخائنة، لكني لا ألومهم فهم بذاتهم صادقين..!.

فكيف لهم أن يرعوني وهم أحياء مرة وأموات مرات..كيف..؟، والآن أصبحت وحيدا في شوارع الألم أتجول، فهلا أفسحتم لي الطريق لأعبر ؟!.

زادني الإرهاق والألم ألما مضاعفا بعد قراءة تلك الورقة، تلك الجرائم البشعة في حق البشرية، وعلّ مقاطعة ياسمين لي كانت بمثابة رصاصة خرقت جسدي النحيل..بقولها:

_أعلم أنكم تعانون الكثير من المصائب وتكابدونها ليلا نهارا، ونحن أيضا مثلكم نعاني نصف ماتعانونه وأكثر، صدقيني أني أشتعل من الداخل فأنتم إخواننا ولكن أنتم كذلك تعرفون وضعنا، صورتنا ،قلوبنا،وحدتنا.!.

ياسمين هي فتاة سورية مات أهلها عندما كانت صغيرة، فشدت الرّحال إلى فلسطين عند منزل خالها؛ أو بالأحرى قصف بيتها بطائرات ليست إسرائيلية بل عربية ،وأضحت وحيدة قلب ...

كانت تلك المسكينة الضعيفة تفكر: ترى من سيدفنني عند موتي؟، وهل سأدفن حقا؟.

وأسئلة لا يجب أن تسألها هي فقط، بل يجب أن نسألها نحن أيضا لكن بطريقة أخرى:"أسيسألني ربي عن كل بريء مات وأنا أنظر وأراقب من بعيد متكئا على أريكتي؟.

_بلى، نعم، أجل سنسأل جميعا عنهم..

_كاتي أنا أحن إلى سوريا الجميلة أو التي كانت جميلة، وأحن إلى ترابها، وكأنها قاطعتني من شرودي.

_أتعتقدين أنك وحدك تحنين لبلدك الجميل، بل أنا أحن أيضا إلى وطني القدس الذهبية، والله إنها لشيء عظيم يألمني في جهتي اليسرى!.

_كاتي ،ياسمين ..!

-حاضر كابتن.!.

الليلة لدينا عملية سنعمل على تنفيذها وأعضاء الفريق، لقد سمعنا أن هناك قصف بالقدس وسنذهب للرد..!.

_حاضر كابتن سمير.

أنتما إبقيا هنا، أما نحن سنذهب

_كابتن سمير أنا سأذهب معكم.

_لكن يا كاتي هناك خطر عليك، أنت يجب أن تجلسي لتحاربي الظلم بقلمك، والآن مهمتك النشر في جريدة الوطن حول عملية اليوم.

_حسنا سأفعل والآن، لكن سأذهب معكم لتقديم شيء لبلدي العزيز.

_أجاب الكابتن سمير بعبوس باد على وجهه: لابأس.

إنها ليلة النكبة "ليلة دمرت فيها فلسطين "اتجه فريق الكابتن سمير نحو المعسكرات الإسرائيلية لتنفيذ وعده لأبيه يوم قتل على أيديهم "سأنتقم لموتك يا أبي ولموت آلاف البشر "، كلمات كانت تحرق مشاعر سمير ،انقسم فريقه إلى ثلاثة أقسام "قسم بقيادة الكابتن سمير نفسه، وقسم بقيادة السيد أحمد، أما القسم الأخير فكان بقيادة أدهم إنطلق كل فريق إلى جهته المناطة له..كانت الساعة تشير إلى العاشرة عندما بدأ القصف الصهيوني على قطاع غزة، وبدأ إطلاق النار بتدخل فريق الأسود، كان سيف صلاح الدين الايوبي بيد أمينة، بيد من؟، إنهم شجعان الزمان!.

سقط بيد بتول لتباشر بالجهاد في سبيل الله، وماهي إلا لحظات حتى توقفت لصوت الرصاص صوب نحو طفل صغير حتى ترمي بنفسها مكانه لتصيبها رصاصة الموت

تحت صرخات "لا إله إلا الله محمد رسول الله"...سلمت بتول الروح إلى بارئها لتضيف لصفحة الشهداء شهيدة أخرى تحت منار "بطولة نساء".. أنهت بتول كفاحها كما انتهى القصف ..حملت جثتها إلى أبيها لتكون لها جنازة مخلدة تحضرها آلاف العقول تحت منارة القدس الصفراء.

"من أجل ذلك كتبناَ على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفسٍ أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحيَاها فكأنّما أحيا الناس جميعاً ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثير منهم من بعد ذلك في الأرض لمسرفون".

(سورة المائدة_32_)

15ديسمبر..!

ألقت أشعة الشمس ستائر دفئها على مخيم اللاجئين الفلسطينيين، كما ألقت ستائر أشعتها على قلبي وقلب الكابتن سمير الذي تردد في تنفيذ المهمة وربما على قلوب باقي الرفاق فبعثت الأمل كنجوم ملأت السماء في ليلة مظلمة حالكة، وبدأ تقرب الفريق نحو معسكر العدو هذه المرة ولكن بتحويطه من كل الجهات.

استيقظت مدائن القدس العريقة على أجواء رومانسية فكانت الصواريخ المتناثرة هنا وهناك على المدينة حيفا أشبه بورود حمراء زينت المكان ودمرته في آن واحد ..كل على حدا؛ فهو مكان مزين بالنسبة للصهاينة، وقلب مخرب أجوف انتزعت منه بهجته بمنظور أهله الفلسطينيين..تقدمت أنا وكأني بطلة كارتي منذ زمن وبدأت بتنفيذ الخطة المتفق عليها، وهي منع العدو من التقدم نحو مدينة القدس بعدة إجراءات تكتيكية وكل فريق اعتنى بمهمته أيما اعتناء ..كوفئت جهودنا الجبارة بانتصار سجل في تاريخ فلسطين عندما استطعنا تطويق معسكرهم المجهز بأسلحة كاملة متنوعة واستعمالها ضد أصحابها ...وهذا مايسمى انقلاب الشيء على صاحبه ..أنا جد مسرورة لدرجة الغبطة وفوجئت لأول مرة أنني لم أحزن على أبناء جلدتي بعدما كنت أثور لغضبهم وأفرح لفرحهم، فالآن للعجب أنا ضدهم ...

(ياسمين):لقد لقت العملية نجاحا باهرا مبارك لنا..

_نعم ، وهذا تقدما جديد لفريقنا نحو تحرير القدس المحتلة

_صحيح أليكس لماذا تساعدينا ضد أبناء جلدتك ..!

_حسنا...!انا أساعدكم لأني صرت أعرف الحق من الباطل، أنا أسلمت مثلكم وسأظل أفي بوعدي لكاترين(كاتي) بأن أكمل مابدأته..

_بوركتي أليكس، والآن إلى أين..؟!.

_سنذهب للمستشفى لزيارة والاعتناء بالمصابين بقذائف هاون في المعركة..

جلست أتفقد جميع أغراضي، وأغير ملابس العمل بملابسي الأصلية مع أني شممت رائحة شك بي من طرف والدي، ولكن ماعساي أقول لهم وابنتهم لم ترقب قولهم بالعودة المبكرة للبيت..!.

كما يفعل الطفل الصغير عادة بدأت في الزحف ليلا للوصول لغرفتي، ويا للهول فقد وجدت أبي هناك بانتظاري، كانت نظراته تدل على أنه سيستدعيني للاستجواب لأنه قال بصوت مبحوح:" صارة أين كنت في هذا الوقت"؟، بصراحة أحسست بتجمّد الدّم في جسمي ولو نخزني أحد بشوكة ماكنت سأحس من فرط الخوف ..فلم أستطع الرّد، بل ظللت جامدة مكاني أنتظر نزول معجزة تنقذني ..

_صارة أريدك غدا صباحا ..!

قضيت ليلتي في أرجوحة الريبة والبهجة ؛ ارتبت من ناحية نظرا لشك أبي، ومن ناحية أخرى تأرجحت لمشاعر السرور والفرح للنجاح...وها أنا أسير بتيارين متواترين..!.

_صارة ..تعالي إلى هنا.!

_حاضر أمي سآتي ..

دخلت غرفة أمي مطأطأة الرأس، متشنجة العضلات ودقات القلب تزداد فتلمحني خوف محدثا جلبة من مشاعر طاغية..

_أين كنت البارحة يا صارة؟.

_ألم أحدثك أن تعودي مبكرا، أو أنك لازلت تجوبين مع أولئك المسلمين..!لقد حذرتك أنا ووالدتك من ذلك..

_أبي لقد ذهبت للمستشفى.

_المستشفى ...!.

أجل، لأن زميلة لي بالصف تعرضت لحادث وأنا ذهبت معها.

_ فقالت أمي: بنيتي، مع أني لا أصدقك، لكن هذه المرة سنتجاوز المشكلة ووالدك..

حقيقة بعد خروجي من الغرفة انهالت علي الكثير من التأنيبات لأني كذبت كذبة أعتقدت أنها كانت ناجحة نوعا ما، ومع ذلك سآخذ حذري في المرة القادمة...

أبحرت سفينة الغضب محملة بأفئدة للتصدير لأناس ربما ماتت فيهم الإنسانية من فرط النوم لساعات وساعات دون حركة فهم كالأموات..!.

في الصباح الباكر تحججت بالجامعة للحاق بركب الاجتماع الذي برمّج على الساعة العاشرة هرولت نحو قاعة الاجتماعات فلم أكن أعرف أن جاسوسا قام بترصد حركاتي ، لكن حضرت الاجتماع وكان التفاهم عنوانا لنا، كما استقبلنا منضمين جدد، وقبل أن تدق الساعة مشيرة للثالثة مساءً أسرعت إلى المنزل الذي أحسست بالاقتراب منه وكأنه ليس بيتي، وإنما انقبض صدري قبضة شهقت لها زفرات أنفاسي ولم أكن أعلم لماذا هذا الألم الآن؟، وأمام المنزل الذي فتح بعيون تحدق بي وأفواه تلقي عليّ وبالا من الشتائم..

لقد خنتِ أرضك وشعبك يا صارة.

_ فقلت مرتجفة: أبي ماذا تقصد..أنا لم ... حتى قاطعتني أمي: أسكتي، ألم تخجلي أنك خنتنا ،وانضممت إليهم..!.

لكن صرخات مكتومة تجسدت على فمي، وقلت:أنا لم أخن شعبي ولا أهلي لكني عرفت حقيقة الأمر والاسلام وميزت بين الخبيث والطيب، فتتبعت مسارا أرشدني إليه قلبي وعقلي فأنا الآن رشيدة بما أفعل ..!.

صفعة مؤلمة وجهت على خدي من طرف أبي الذي لم يكن يضربني أبدا، فقال بحزم يتخلله غضب: ستبقين سجينة في غرفتك إلى أن تعودي لرشدك وتتخلي عن اسلامك..!.

في غرفتي...!نعم في غرفتي أسمع ضوضاء أختي ندى تحاول إقناع والدي بأن يرأفا بي؛ ندى أختي الصغرى التي تساندني

دائما أكبرها بسنتين ومع ذلك فهي صدقتني الحديث، لكني الآن في سجن ليس بسجن؛ سجن بين جدران غرفتي المطلية بطلاء ورديّ كما أحببتها أن تكون، فلماذا لا أحس بأنني أنتمي إليها؟، فقط أود الخروج من هذه الغرفة ليتلاعب نسيم الهواء كعادته بشعري الأملس المنسدل على كتفي ...فمن أين لي ذلك؟، أن لم أرجع عن الإسلام ..لا لن أرجع عنه، وأفضل الموت على البقاء حية دون إسلام جمع شتاتي، وأكيد سيركن أبي ويتقبل الوضع كما هو... هكذا كان ظني..!.

وبعد مرور أسبوع على فقدان أثري من إخوتي بالمعسكر عرفوا أن خطبا ما أحلّ بي، فأرسل الكابتن سمير سلمان ليسأل عني ندى، لكن ندى ليست من الفتيات التي تبوح بكل أسرارها، بل هي غامضة لدرجة الانطواء على نفسها، ولحسن الحظ ندى حذرته بأنه كشف أمري في المنزل.

ومن جهة أخرى، قرر أبي أن يغير الطريقة معي لأن السجن لم يعمل تغييرا فحبس عني الطعام أيضاً ..لكن ندى كعادتها تأتيني بالطعام في دجى الليل، فلم أضعف، ولم أخسر قوتي ما جعل أبي يشك في الموضوع ويأنّب ندى ..

فتوقف ذلك الخير فجأة.

بعد مرور أسبوع..!

قامت ندى تتحدث لسلمان:

"بعد وفاة أختي من فرط الجوع والعطش في سجن الغرفة عرفت ماكنا عليه من قسوة جعلت الأب يقتل ابنته، ررت أنا أخت صارة ندى بأن أسلم أيضا، وقرأت في مذكرة أختي ماكانت تخطط له وعلاقتها ببتول وعرفت ان كاترين كان اسمها المستعار، و أليكس هو اسم أختي صحيح!

للأسف صحيح.

-أقنعني موتك ..!أقنعني...!.

*** * ** * ***

12 أيلول..! ما احتوته مذكرة أليكس

جلست منغلقة التفكير إلى أن نظرت لصورتك عزيزتي فأعلنت ذاكرتي كومة مسرات بسيطة فلقد مرت سبعة سنوات يا كاتي على مغادرتي للندن كمرور دهر، ها أنا أعود لأسمع أخبار وفاتك ..ومع ذلك لست حزينة من أجلك، لأنك دافعت عن أرضك وجوهرتك الصفراء، على العكس من ذلك أنا جد مبتهجة لأني زرتك اليوم في قبرك ورأيتك في منامي أن روحك الطاهرة تنام بسلام، لقد أعطيتني وصية وسأكمل ما بدأت به أنت..!.

أعدك أنه لن تكون هذه آخر وردة على قبرك بل ستأتي ورود السلام أيضا على أرضك ..

غادرت قبرك والألم في عيوني لكن ذكراك ستحيا من جديد..لا أنسى يوم اتجهت فورا إلى مقر التخطيط للعملية ضد الكيان الصهيوني ..فصوبت عليّ الأسلحة ظنا منهم أنني من أعدائهم، لكن في الأخير ولجت قاعتكم السرية وتحدثت إلى الكابتن سمير كما كان يلقب ووجدته مع فريقه مجتمعين.

_السلام عليكم

_وعليكم السلام

أنا صارة ..!ربما بتول كانت تحدثكم عني..

_الكابتن سمير مجيبا: لا ،لم تحدثنا عنك ..

_خاب ظني لولا تدخل فتاة اسمها ياسمين قائلة أأنت صارة..؟

فقلت :بلى، أنا هي

ياسمين:نعم، لقد كانت تحدثنا عنك وقالت _رحمها الله _ أنك ستنضمين لنا وأخبرتني أن أطلق عليك إسم أليكس.

..نعم ،صحيح

_وخير ما أتى بك..!

_يا إخوة أنا أريد ان أنضم إليكم، لأكمل ما بدأته بتول.

فبدأت شوشرة عجيبة بعد طرحي لهذا السؤال الذي اعتبر غريبا نوعا ما..!

_تكونين معنا وأنت صهيونية؟.

_وضد أبناء جلدتك..!.

بعد فترة لم تدم طويلا خرجت من سكناكم صوب منزلي، فالتقيت بالطريق ذلك الفتى الذي حدثتني بتول عنه"أنه سلمان"، أوقفني ليتحدث معي لكن حبا لك رفضت ذلك...وعدت إلى المنزل منهمكة وقبل أن أدخل ذكرت الله"بسم الله" كما سبق وتعلمت من بتول، فوجدت أبي مستلقيا على أريكة ينصت للأخبار، ...وكسالف العهد تسللت نحو غرفتي قبل أن ينتبه أبي لما أحمله من أغراض فأغلقت باب الغرفة وأحضرت ورقة وقلما وسجلت عناوين كثيرة تفي بغرض الخطة التي برمجت بعد شهرين من الآن....

والآن أنا أشكر الإله أن وافق الكابتن سمير بإدخالي ضمن فريقه العتيق، أعرف أنهم لديهم شكوك حولي وعن نيتي، وعن ما إذا كنت جاسوسة صهيونية تعمل على تدمير

خليتهم.. !ولقد لاحظت تزاور أعينهم، كما بعثوا ورائي جاسوسا لمتابعة أخباري ...على كل حال لا علينا سأثبت جدارتي بالمهمة _ب_..وبعد نصف ساعة تقريبا تلقيت مكالمة غريبة من شخص غامض يقول:"تعالي لنلتقي أما حنفية عمي منصور ..!وأغلق الهاتف فورا وها هو القلق مرة أخرى يجوب بي ويلعب بسيرورة أفكاري؛ ياترى من يكون هذا الشخص؟، ولماذا طلب أن نلتقي؟،أو معقول أنه اشتبه بي أو هو فخ ..!.

ولكي لا أدع للشك حيلة خرجت باتجاه الحنفية، ويا للغرابة من وجدت..!لقد كان سلمان!.

..دار بيننا حديث لم تحمد عقباه في البداية, ولكن أخيرا عرفت أنه يسعى لمساعدتي فأخبرني أنه هو الجاسوس الذي كان يتابع أخباري بأمر من الكابتن سمير، وأنه يعمل هناك معهم ..

لقد رأيت فيه الأمل لنصرة بلده، ولكن لم أعرف لماذا أخبرني..؟، ربما لأنه معنا في الفريق أو ربما لأنني كنت صديقة بتول..!ربما..

فصل يتبعه فصل يزفّ لنا خبر وراء خبر تحت مسمى"عاجل"،ننتظر بفارغ الصبر سلوانا من الله ليوم عظيم .

يوما ما...!

بعدما اجتازت أرضنا الطاهرة عدة أزمات على الصعيد المادي والمعنوي ألقى الحمام الأبيض أجنحته على المسجد الأقصى ليعبق منه زهر السلام فيتخلل جلّ أراضيه فيضرب القدر ضربته القاضية "أيا قدسنا دمتِ لنا" فاليوم بأرضنا شهدنا جمع الصهاينة ولّى مدبرا عن جمعنا ،وافترقت جموع الذرائع تحت قناع الزمن .

فيا زمن..!لقد أريتنا نصرا عظيما بقيادة صلاح الدين محرر الأقصى وكلنا، وشملنا،كبيرنا وصغيرنا أذعن طاعة لله الواحد الأحد ...ضربات سحقت جمعا غفيرا كان بالأمس على المسلمين ظهيرا ..

اليوم نصرنا ونصر بأرضنا فاشهدي يا سماء، ويا أيّتها نجوم زيني ليلنا بنورك الساطع، فاليوم هو يومنا..!

لن أرضى بأرض غيرك وطنا، فأنتِ لي مسكنا، عبق تربتك بات لي عطرا، وتبقى هذه أمنيتي يوما ...!

يوما ما..!

تحت أقنعة الغدر سينبت الله من وحدتكم، شملكم منبتا صالحا يكون للناس مثلا..!

يوما ما..!

ستحتضن أرضنا السلام علما..!

أمنية فتاة إسرائيلية لأخوتها الفلسطنيين يوما ما...!

هي أرضنا هكذا ستكون يوما ما..!.

رفرفت أجنحة السلام على فلسطين شرقها وغربها ،شمالها وجنوبها، وتجندت جنود العرب ضد الكيان الصهيوني، فكان النصر حليف الحلفاء ونالت القدس شرف التحرير، وصعقت أجنحة الظلام تحت مسمى "أتى نصر الله"وأنبل من ذلك فرحة عامرة زينت بقاع الأرض عامة وبلاد العرب خاصة، من قاموا وانتفضوا ضد ظلم دام لسنوات ومن استقرت أيديهم في سماء الغيب ينزلون دعواتهم على إخوانهم في فلسطين

نحن أخوة هكذا قالت الديانات السماوية، لكن القليل من عمل بها وكثير خسروا أنفسهم في سبيل عرض من الدنيا قليل،فكانت كركلة لهم جزاءً بما عملوا .. انتشر السلام في الأرض!

ليس في فلسطين فقط، بل حتى جيش العدو في سوريا ،لبنان،العراق..ولوا مدبرين ..وتسامت أفئدة الجميع .

فيا ليت الفؤاد يشكو بما فعل به الحبيب!.

تعالت صيحات السرور في كل أرجاء البلد وعادت للسماء بهجتها ..ذلك وعد الله والله لا يخلف الميعاد ..

وانكشف الظلام لشمس الصبح لا أطياف الظلام،

نامت البشرية على صوت لا إله إلا الله وانتقلت العرب من كل حدب شطر المسجد الأقصى لتأدية الصلاة، نادى المؤذن معلنا "الله أكبر ..الله أكبر "لبت الجيوش طاعة لله الواحد الأحد كالنور ملأ الفؤاد رعبا وفرحا هكذا هم المسلمون ..هكذا هم المسلمون ..وهكذا هي فلسطين الحبيبة..

تحت غطاء السماء

أشرق نورك للعالمين

رفعت رايتك عالية ترفرف مع العصافير

تنشد لها ماطاب من الألحان!

غردت نشيدك كطائر ماخاب ظنه

بصياد وسط الغابة التهمته عدالة السماء

وفي جنح الليل..!

ناديت اسمك أيا قدسنا دمت لنا!

نور الحرية سطع مهلهلا..مجيبا

أن النور اخترق شفوف الليل

لينسج لك ثوبا للحرية ما نزع يوما!

وألقت السماء لعنتها على مغتصبيك

وأزهرت بساتينك مخضرة كنخيل الشجر

في غيابك لفني صداع الشوق

لكنك ياقدسي..!

سرقت الفؤاد من بين الأضلع!

(أميرة غربي).

استيقظت على صوت آذان الفجر "الله أكبر"لكنه كان حلما وما أجمله من حلم، أظنه سيصير حقيقة قريبا _إن شاء الله_هذا ما اتفقت عليه كلّ الكتب السماوية.. .

تمت بفضل الله.

عن الكاتبة:

الكاتبة هدى غربي 16 سنة ، تلميذة في الثانوية

مؤلفة مجموعة قصصية في أدب الأطفال " علمني"..

التي ستترجم إلى اللغة الانجليزية قريبا ان شاء الله.

لمراسلة الكاتبة واقتراح عليها أي تعديل أو إتمام الجزء الثاني معها نضع بين ايديكم

رابط الموقع

Https://princesslibrary.com